لاستمرار الثورة والنضال؛ ومن ثمّ، فهي ضمان تحقيق هدف قيام دولة فلسطين واستقلالها.

ويمكن ملاحظة أن المبدأ الأول يؤدي الى الثاني، وأن الثاني يؤدي الى الثالث، وأن المبادىء الثلاثة تتداخل فيما بينها وتؤثر في بعضها البعض وفي مجرى النضال.

وفي ظل الظروف الحالية، لا يذكر الكثيرون، خاصة من الجيل الجديد، كيف كانت كل القوى السياسية على الساحة العربية، بعد نكبة العام ١٩٤٨ في أعوام الخمسينات والستينات، تدرج قضية فلسطين في برامجها، ولكنها ترى أن الطريق الى «استعادتها» هو طريق اقامة دولة الوحدة العربية الكبرى؛ أي أن عملية تحرير فلسطين كانت مؤجلة بالفعل الى حين تحقيق هذا الهدف، الذي تشعّبت منه، فيما بعد، أهداف، كالتقدم والبناء الاشتراكي وحتى تحقيق التفوّق العصري والتكنولوجي على العدو الصهيوني، وليس أمام الشعب الفلسطيني الّا ان ينتظر.

الجديد الذي جاءت به «فتح» هو انها أعادت الى الجماهير وفعلها الثوري، حتى ولو كان متواضعاً وبسيطاً، حق المبادرة ببدء التحرير، الذي هو، بالطبع، عملية طويلة. ولم يكن يتصوّر أحد من الداعين اليها انها قاصرة على معركة نهائية فاصلة، ولا انها بعيدة من البناء الذاتي الفلسطيني.

من الواضح ان خبرة الطلائع الثورية هذه، وتجربتها السياسية في ذلك الوقت، هما اللتان ادّتا الى الوصول الى هذا الموقف الجديد. كانت جماهير الأمة العربية، كلها، تعيش الانتصارات الكبرى التي حققتها بهزيمة العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦، وباقامة دولة الوحدة العربية الاولى بين مصر وسوريا. وكان الفلسطينيون، وحدهم في ذلك الوقت، الذين أدركوا المعادلة السياسية التي ترتّبت على فرض الانسحاب الاسرائيلي من على سيناء واهتمام القيادات العربية بغير تحرير فلسطين، أو تأجيل هذا الهدف الى حين؛ ولم يكن أمامهم الّا ان يتجمّعوا دون أوهام، ودون انتظار، وهم الذين يعيشون معاناة أهلهم ويقدّرون مخاطر التشتيت والاذابة والتغييب والانابة. حتى المجموعات الفلسطينية من النشطين سياسياً والملتصقين بذلك الوقت بمنظمات ذات أهداف قومية، أو عالمية، أو أممية، شعروا وتيقّنوا من ان قضيتهم تدرج في البرامج وجداول الاعمال، ولكنها ليست الاولى.

ولأن الوطن هو الاول دائماً، لم يكن صعباً عليهم، وهم الممارسون وأبناء النكبة، ان يختاروا الاستقلال والمبادرة، أي ان يختاروا الوطن أولاً.

وفي الوقت الذي تمسّكت قيادة الثورة الفلسطينية، منذ انطلاقتها، بأولوية فلسطين، فانها حرصت على وحدة النضال العربي بالاشكال والدرجات كافة، بل وعلى تجميع الجهود العربية كلها، الرسمية والشعبية، متجنّبة الدخول في أي صراعات جانبية معها، وهي صراعات فرضت عليها، في كثير من الاحيان، بل واستنزفت قدراً هائلاً من الجهد والدماء والضحايا والمعاناة، ولا تزال. ولم يغب عن القيادة الفلسطينية، أبداً، ان لقضية فلسطين بعداً عربياً، بل وعالمياً لا يمكن استبعاده، ومن الضروري توجيه جهود أطرافه نحو الهدف الاول، وهو تحرير فلسطين، وانه لا يمكن تحقيق النصر النهائي على العدو الصهيوني بدون اجتماع هذه القوى، العربية والعالمية، وراء الثورة الفلسطينية وضد العدو الصهيوني.

ودون الدخول في التحليلات التي تبيّن طبيعة العدو الصهيوني، والظروف الدولية التي ساهمت في اقامة كيانه على أرض فلسطين، وكذلك دون الدخول في جدل تفصيلي حول أثر قيام دول عربية متعددة لكل منها سيادة وحدود، فان اختيار القيادة الفلسطينية لأسلوب حرب الشعب طويلة